هذا العالم المتغير :

الصم يسمعون بعيونهم

للاستاذ فوزى الشتوى

قد لا تمر فترة قصيرة حتى يسمع الصم بعيونهم ، أو بطريق آخر سيقرأون بعيونهم ما تنطقه شفتاك ، وليس من الضرورى أن يروك ، بل تستطيع أن تحدثهم بالتليفون فيقرأوا صوتك بذات الطريقة التى تقرأ بها هذه الكلمات

وقد يبدو لك هذا الحديث غريباً ، فتعال معى إلى أحد المعاهد الأمريكية لنرى رجلا ولد أصم ، ومع ذلك يتحدث بالتليفون إلى أحد معارفه عن طريق جهاز حديث يحول الحديث إلى مركبات . وكان الأصم يرقب لوحة صغيرة تترجم عليها الأصوات إلى صور أمواج ظاهرة تتباين باختلاف مقاطع الحروف والألفاظ فيعرف هو معناها ويجيب عنها بصوته كأى إنسان عادى

فالصوت — كما نعرف — يبدو فى لغة الطبيعة أمواجاً ، وهى نفس النظرية التى تنقل إليك الأصوات فى المذياع وفى آلة التليفون ، ولكنه بدل أن ينعكس ويرد إلى أصوات تسمع يسجل فى الموجات المرئية كما هى فى الطبيعة بالاستعانة بصمام يشابه الصمامات المستخدمة فى المذياع المصور (التليفيزيون)

وهذا الجهاز الجديد فى حجم الآلة الكاتبة الجديدة ، وعلى لوحته يرى الأصم أمواج صوت محدثه كما يرى أمواج صوته هو ، فيصحح أخطاءها إن حدثت ، فإنك تعرف أن الأصم غالباً مايكون أخرس أيضاً ، ولا سيما إن كان الصمم قد أصابه وهو صغير فلم يتعلم مخارج الحروف ولا طرق النطق . فتعليم اللغة وإتقانها عادة نحصل عليها بالتقليد ، كما أن القراءة والكتابة عادة أيضاً نحصل عليها بالران ، وما هو معروف بطريقة الخطأ والصواب

فالطفل فى مهده يسمع أباه وأمه وجيرانه يتحدثون ويحاول تقليدهم ، فمرة يصيب ومرات يخطئ ، ويستفيد من خطئه كما يستفيد من صوابه ، لأنه ينحو إلى تصحيح أخطائه فى النطق كما يطمئن إلى نطقه المضبوط ، وبالتكرار يتعوده ويصبح جزء منه ومن ثم تختلف اللهجات كما تختلف اللغات .

فإن كان الطفل أصم فهو لا يسمع ، ومن ثم لا يقلد ، أو بطريق آخر يصعب عليه أن يتعلم الحديث فنطلق عليه لقب أخرس ؛ ولكن البلاد التى تعنى بتوفير الرفاهية لأكبر عدد ممكن من شعبها تسعى لتذليل هذه العقبة ، ومن ثم ظهرت فى أمريكا مدارس لتعليم الأطفال قراءة الشفاه ، فإذا لعبت شفتاك أمام عيونهم عرفوا ما تقول وأجابوك فلا تكاد تحس بأنهم صم .

ورسم الكلمات أيضاً شىء اصطلاحى تواضع عليه أبناء اللغة الواحدة ، فالعربى يرسم الفتحة الطويلة شرطة عمودية نعبر عنها بالألف ، ويختلف عنه الانجليزى أو الصينى وإن كان الجميع يتفقون تقريباً فى نطقها . والطبيعة لا تعرف ما تواضع عليه الناس ولها كتابتها الخاصة التى تصور بها مخارج الألفاظ ورسم الحروف .

وكانت كتابة الطبيعة للالفاظ معروفة . ولكنها كانت كثيرة التفاصيل يعز على الناس التفريق بينها وفهمها فهما دقيقاً حتى تيسر أخيراً تبسيطها باستخدام مرشحات تبرز القاطع الواضحة ، فمن سياق المعنى تعرف ما أقصد بكلمة (كتب) إن كانت كَتَبَ أم كُتُبٌ إلى غير ذلك من الألفاظ .

ولهذا التبسيط ميزته إذ هو يزيل اختلاف اللهجات ، فأجريت تجربة على ستة أفراد — ثلاثة رجال وثلاث سيدات — ولكل منهم لهجة تخالف لهجة الآخرين ونطق كل منهم بكلمة واحدة فكان شكل الموجة الصوتية واحداً فى الحالات الست برغم اختلافهم فى نطقها وحدتها ووضوح النبرات أو اندماجها .

وتكتب الطبيعة المخارج الصوتية بطريقة تخالف الطرق الإنسانية وتبذها فى التعقيد ، فبعض الألفاظ تظهر كثلاثة خطوط أفقية فى أعلى اللوحة وخط فى أسفلها وبعضها يبدو كالقارب أو مثل الثعبان مما يتطلب مراناً لا يقل عن المران الذى يتطلبه تعليم وسائلنا فى كتابة اللغات البشرية .

وقد قدر تعليم الصم قراءة الكتابة الصوتية بقدرتهم على تعليم لغة حركات الشفاه ، فوجد أن الأولى أصعب ولكن مواصلة المران لبعض أفراد فريق التجارب الأول أن يتلقى الإشارات التليفونية كأى إنسان عادى .

ومنذ فترة قصيرة أجريت تجربة هذا الجهاز أمام فريق من

رجال الصحافة وكان المتحدثان رجل اسمه بلوم وامرأة اسمها جرين ولدا أصمين ، خاطبته السيدة بقولها : « أهلا وسهلا يامستر بلوم ... وكيف حالك » . فأجابها على الفور « إنني بخير يا آنسة جرين أشكرك » واستمر الحديث بينهما مدة تناولا فيها عدة موضوعات وهما متفاهمان كل التفاهم .

ولا تزال هـذه الطريقة فى تيسير الحياة للصم فى مرحلة التجارب وإن كانت الخطوات التى خطتها واسعة يسرت كثيراً من العقبات ؛ ولكن القائمين بأمرها يعتقدون أنها ستكون من خير الوسائل لتعليم الأطفال الصم وستخفف كثيراً من العناء الذى يلاقيه من يدربونهم على الحديث ويلقنونهم العلوم .

وهم يسجلون جميع المراحل التى تتناول عمل الجهاز وتبسيطه كما يسجلون مراحل تعليم الأفراد أيضاً ويقارنونه بشتى وسائل التعليم ليعرفوا أخطاءها فينقحوها ، وبواسطة هذا الجهاز تيسر إصلاح النطق الفاسد فى بعض الصم وإتقانه مما يبعث على الأمل فى تعليم الصم فى فترة أقصر .

ويتعلم الطفل الأصم فى سنته الأولى نطق ستة ألفاظ فقط ، فإذا بلغ سنته الثالثة فى المدرسة تعلم نطق ٥٠ كلمة ، بينما الطفل العادى يتعلم فى ذات الفترة ٣٠٠٠ كلمة وهو فرق كبير سيخفف منه ولا ريب رؤية الأطفال تصور موجات ألفاظهم الصوتيـة ومقارنتها بصور الألفاظ الصحيحة .

وأهمية هذا الجهاز الكبرى فى سهولة تعليم الأطفال أن ولدوا صما فنادراً ما يتاح للطفل الحصول على أى جانب من التعليم فيظل جاهلا طول حياته ويتعذر عليه أن يجيد صناعة يكتسب بها رزقه فضلا عن إحساسه بالنقص وتكوين مركبه فى نفسه مما يقصيه عن المجتمع . وأعرف شابا بلغ العشرين من عمره ولكنه يهرب من أى إنسان يحاول الاتصال به فقد كون لنفسه بما رآه فى صغره فكرة جعلته سيىء الظن بالمجتمع وأناسه .

ومن أكبر المشاكل التى يعانيها والده كيف يوفر له الحياة وسبل العيش فى الحال وفى المستقبل ؛ فالأب يعول همه وهو حى وبعد أن يموت ، ولم يدرك وسيلة يمهد بها لمستقبل هذا الابن الذى لا يحسن عملا وليس فى وسعه الانخراط فى مهنة .

(البقية على صفحة ٥٦٢)

فكرة وصورة ... !

للاستاذ عبد المجيد بن جلون

هـذا خيالك قد بَرَح ... نسى المحبة وانتزح
وهجرت أحلامى فلا ... طيف يزور ولا شبح
فكأن قلبى من كؤو ... س هواك يوماً ما اصطبح
وكأن روحى فى سما ... ئك يا فتاتى ما سبح
وكأن روض غرامنا ... بشذى الأزاهر ما نفح
وكأن بلبل حبنا ... بين الجوانح ما صدح
لم يبق بعدك يا فتا ... تى اليوم حزن أو ترح

* * *

ألفيت فيك مشاعرى ... ووجدت فيك مثالها
إذ كنت صورة فكرتى ... فهويت فيك جمالها
فالصورة الحسناء منـ ... ـك أنا اكتشفت خلالها
والفكرة الحسناء منى ... صرت أنتِ خيالها
لكن عبثت بحسنها ... فعزمت عنك زوالها
إذ خنت رونقها الجمي ... ل وقدسها وكمالها
فسليت حسنك فكرتى ... وبهاءها وجلالهـا

* * *

فإذا أتاك حنين شو ... ق فى النسيم السائر
وذكرت ماضى بهجتى ... أيام حبى الغابر
وذكرت عهدك فى الدجى ... ذكر الحزين الساهر
فأنا أناجى فكرة ... لا صورة فى خاطرى
فالصورة الحسناء فانيـ ... ـة كأمس الدابر
والفكرة الغراء خا ... لدة بخلود الشاعر
كانت وسوف تظل مل ... هم خواطرى ومشاعرى

عبد المجيد بن جلون